العوالم الأخرى في تصورات الأدباء

دراسة مقارنة

د. عمر ابراهيم توفيق

المقدمة

ما بعد الموت من ا لأمور التي استغلقت على الذهن البشري ، وقد حاول الأدباء تصوير ذلك المجهول اعتمادا على ما تركه لهم الموروث الديني عن أحوال الجنة وأهوال الجحيم و معاناة البشر في يوم المحشر من حساب دقيق لفكرتي الثواب و العقاب والخطيئة والتطهر وعدم الخروج عنهما ، وكان خيالهم يدور حول مشاهداتهم في الحياة الدنيا وما تركته في نفوسهم من أثر في تصوير معاناتهم والتعبير عن أحلامهم التي تراودهم والتي لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع ، فكان مسرح العالم الآخر المكان الرحب في القصاص من الذين أساءوا إليهم أو تحقيق ما حرموا منها ، كما كانت وسيلة لإثبات المقدرة الفنية وطرح أفكارهم وآرائهم النقدية .

فكان بحثنا هذا الشريط الذي شاهدنا من خلاله العوالم الأخرى كما تخيلها الأدباء منذ الحقبة اليونانية والتي تعبر بصدق عن ثقافة تلك العصور وتصوراتهم الغيبية .

ونظرا لسعة مجال الدراسة وسرعة المجال الزمني فيها فقد اعتمدنا على الإيجاز وعرض مشاهد سريعة مع إجراء مقارنات في اثناء البحث من الحالات التي تسلط الضوء على المختلف والمتشابه في تصورات الأدباء تاركا موضوعنا لدراسات أكاديمية موسعة من لدن الباحثين ، والله هو المعين.

الانتقال إلى العوالـــــــم الأخـرى ورد في أساطير الأولين منذ قدمـاء المصريـين في أسـطورة (إيزيس) و(أزوريس) التي تدور حول الصراع بين اله الخـير والـه الشـر ،كمـا شـاع عنـد البـابليين خـلال احتفالهم في أعياد رأس السنة البابلية بموت الإله مردوك وصعوده إلى السماء "[1]".

وجاء في قصص الأنبياء ، أن النبي ((إدريس)) الذي يتصل نسبه بعدجـده الثـالث بـآدم (ع) قـد صعد وهو حي مع ملك الموت إلى العالم الآخر ورأى الجحيم والجنة من غير أن يفصل فيما رأى من نعيم الجنة وأهوال الجحيم "[2]"، ولم يرد ذكر ذلك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وقـد ورد اسمـه (ع) في قولـه تعالى ((وأذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا))"[3]".

وفي إلياذة هوميروس التي كتبت شعرا سنة (٩٠٠ ق.م) والتي تحكي حـوادث الأيـام الأخـيرة مـن الحرب التي نشبت حول مدينة (اليون) سنة (١٢٠٠ ق.م) أو (١١٠٠ ق.م) في الأرض المسماة (طروادة) والتي دامت عشر سنين "[4]"، ووردت فيها أحاديث كثيرة عن الحيـاة الثانيـة وعـالم الموتـــى وكبـير الآلهـة المكنى بأبـي الخـــلق (زفس) الذي كان له عرش كبير في الأعالي (أولمب) كما فيها ذكر لأله الظلمات والموت وولي العالم السفلي (آذيس) وعن الأبالسة والشياطين الذين طردهم كبير الآلهة من الجنة ، كما فيـها وصف لظلمات الجحيم وأنهار جهنم وفيها إشارات الى أبواب السماء ونعيم الجنـة وذكـر الشـفاعة ومـيزان القضاء العظيم "[5] ،" ومما قاله ((نصب زفس ميزان القضاء العظيم ،ووضع في إحـدى كفتيـه مصـير أخيـل ، وفي الأخرى مصير هكتور ، وهاهي كفة هكتور تهبط إلى حيز الموت))"[6]" ، وكان لهذا الميزان العظيم أثره في مسرحية الضفادع لـ(ارستو فان ٣٧٧ ق.م) الذي قد يتشابه مع ميزان يوم الحسـاب في الأديـان المختلفـة، ولكن اللافت للنظر أن هذه الأحاديث كانت عابرة وأوصافا سـريعة ثانويـة لحـوادث صغـيرة وقعـت ضمـن الهيكل العام للملحمة ، ولم يكن الهدف منها وصف الرحلات إلى العوالم ألاخرى .

أما" الأوديسة" الملحمة الثانية لهوميروس فيصف فيها شعرا رحلات اوذيس (عوليس) ملك ايثالة إلى بلاده بعد سقوط طروادة والتي تكتنفها الأخطار والمشاق والأهوال بما يتشابه مع قصة السندباد في الأدب العربي "٧"، ففي الجزء الثاني عشر يرحل الأوذيس إلى منازل الموتى ويقـابل أرواح رفاقـه وذويـه ، ويسـألهم عن موتهم وعدة أمور مستقبلية ، ويجري معهم حوارا حول حوادث شخصية متعلقة بهم ، من ذلـك حـواره الطويل مع أمه ((فأقمت في مكاني ، ودنت روح أمي ، وشربت من الدم ، ولما فعلت عرفت فيّ أبنها وقالت

(١) الأدب العربي الحديث ، دراسة في شعره ونثره : ٣٨١.

(٢) عرائس المجالس :٥٣ رسائل ابن العربي / كتاب الإسراء :٢١ .

(٣) سورة مريم / الآية ٥٦.

(٤) الألياذة / تعريب عنبرة سلام الخالدي نثرا / التمهيد.

(٥) الألياذة / تعريب بطرس البستاني / ٢٠٤ ، ٣٤٩ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ و ٥١٦ ، ٥٦٠، ٥٨٠ ، ٦٣٨ ، ٧١٢ ، ٨٤٥ .

(٦) الألياذة / تعريب عنبرة سلام الخالدي : ٢٢٥.

(٧) الأوديسة : ٥ .

: لم أتيت أرض الظلام يا ولدي وأنت لا تزال حيا ؟ ألم ترجع إلى بيتك حتى الآن ...))"١" ، ويسألها عن موتها وعن أبيه وولده ، وبعد الإجابة يقول ((وقد حاولت عبثا أن أضع يدي على روح أمي ، واندفعت ثلاثا إلى الأمام راغبا في عناقها ، وثلاثا أفلتت من يدي كما يفلت الظل ، ولما قلت لها : كيف هذا يا أماه ؟ أما أنت اذن سوى شبح أرسلته ملكة الموت إلي؟ أجابتني أمي ، هذا شأن الأموات يا ولدي ، فلا تبقى لهم لحومهم وعظامهم التي تلتهمها قوة النار ، وأما أرواحهم فهي كالأحلام تطير هنا وهناك .....)) "٢" ، وقد غلبت ظاهرة السرد القصصي على الزيارة ولم تحو على آراء نقدية أو مناظرات أدبية أو علمية ولكنها احتوت على ظواهر تكررت فيما بعد في الآثار الأدبية اللاحقة ، ومن ذلك : مقت النساء كقول(اغا ممنون) ملك الإغريق إلى أوذيس بعد سرده كيفية موته نتيجة خيانة زوجته ((إياك أن تكون رفيقا بامرأة أيا كانت ، أو تطلعها على كل دخيلتك...))"٣"، ووصف الروح بانها ((لم يكن سوى شبح ولا مادة له))"٤"، ووصف كلب جهنم و معاناة أهل الجحيم وصور لشخصيات أصبحت مألوفة فيما بعد .

وفي القرن الرابع(ق.م) في الوقت الذي كانت أثينا تعيش أقسى أيامها وتعاني من القلق والاضطراب"٥"، عرض الشاعر الكوميدي(ارستوفان ٤٤٨ – ٣٣٨ ق.م) مسرحية عظيمة باسم

(الضفادع) على مسرح لينين سنة (٤٠٥ ق.م) وقد فازت بالمركز الأول ولقيت نجاحا كبيرا ، وكانت لهذه المسرحية أثرها البالغ في الأعمال الأدبية المشابهة ، وقدم فيها خلاصة لآرائه في النقد الأدبي وعالج الأدب والسياسة من خلال رحلة خيالية إلى الجحيم للموازنة بين شاعرين عظيمين هما(اسخيلوس ٥٢٥– ٤٥٦ ق.م) رائد التراجيديا القديمة المحافظة ، و (يوربيدوس ٤٨٠ – ٤٠٦ ق.م) رائد الواقعية والنزعة العقلية التشاؤمية الشاكة"٦".

وتتكون المسرحية من مقدمة وأربعة فصول ، و تتلخص في ان اله المسرح (ديونسوس) تألم من موت (يوربيدوس) ، فقرر أن يذهب إلى الجحيم (هاديس) العالم الآخر ليعيده إلى الأرض ، وأن (هيراقليس) قد زار يوما هوة الجحيم دون أن يصيبه ضرر ، وهدفه من تلك الرحلة هو البحث عن أقطاب شعراء التراجيديا اليونانية في الجحيم بعد أن خلا المسرح التراجيدي من شعرائه ولم يبق من

(٨) الاوديسة : ١٣٤–١٣٥.

(١) الاوديسة: ١٣٥.

(٢) نفسه : ١٣٩.

(٣) نفسه : ١٣٧.

(٤) النقد المسرحي عند اليونان : ٥٢ ، المرشد الى فن المسرح ، ٦٣ .

(٥) المسرحية العالية /١ : ١٢٠ ، المرشد الى الفن المسرحي : ٤٩ ، النقد المسرحي عند اليونان : ٣٥ .

يمكنه سد الفراغ الضخم الذي تركه الرواد الأوائل مثل (أسخيلوس) ، و(سوفوكليس) ، و(يوربيدوس) ، ويصور الشاعر في تلك الرحلة كثيرا من المغامرات الخيالية التي ولدها خياله وتفكيره"[1]" .

في مقدمة المسرحية يجري حوارا طريفا بين اله المسرح (ديونسوس)، و (هيراقليس) في البحث عن أفضل وسيلة للذهاب إلى الجحيم .

– ديونسوس : بربك أخبرني عن خير طريق و أسرع طريق إلى جهنم ، وأرجوك أن تقدم لنا على أيسر الطرق .

– هيراقليس : إذن ، فلنفكر الآن أيها الأحسن ؟ لقد عرفته ، أستأجر بحارا قويا ليربط حبلا حول عنقك .

– ديونسوس : يالها من رحلة خانقة إذا .

– هيراقليس : أذن هنالك طريقة سريعة ، هادئة بها شيء من الرقة .

– ديونسوس : طريقة الشوكران .

– هيراقليس : بالضبط .

– ديونسوس : انه بارد جدا ، على أني أكاد أتتجمد قبل أن أتتناوله .

– هيراقليس : وما رأيك في طريق قصير شديد الانحدار .

– ديونسوس : إن هذا يناسبني جدا ، فأنا لا أحب المشي الطويل .

– هيراقليس : إذن سر إلى سيراميكوس .

– ديونسوس : نعم .

– هيراقليس : وأصعد البرج هناك .

– ديونسوس : عظيم وبعد .

– هيراقليس : انتظر حتى يبدءوا السباق في الاسفل ، وترقب حتى يطلقوا إشارة الانطلاق ، انطلق أنت .

– ديونسوس : إلى أين ؟

– هيراقليس : إلى الأرض ..."[2]" .

وبعد ذلك يعبر مع عبده(اكسانياس) بحيرة الموتى أو نهر العالم الآخر (كارون)، وينتهي إلى جوقة من الضفادع تغني بخشونة لحن (بريكيكيس كوكس كوكي) ، ويجري معهم حوارا شيقا "[3]".

ويبدأ الفصل الثاني بحديث عن الأوضاع الداخلية التي ترضخ تحتها أثينا، ويطالب الشاعر بالمساواة وإيقاف نظام الإرهاب والعفو العام وإشاعة الطمأنينة في نفوس السكان جميعاً"[1]" .

---

(٦) النقد المسرحي عند اليونان : ٥٢ .

(١) المسرحية العالمية : ١ : ١٤٢.

(٢) المرشد الى الفن المسرحي : ٦٣ .

وبعد مغامرات متنوعة يصلان الى العالم الآخر ويجريان حوارا أدبيا حول من يتربع على عرش المسرح في الجحيم وعن قواعد ومقاييس لاختيار الشعر والحديث عن بعض المصطلحات النقدية .

وفي الفصل الثالث ، يسمع المسافران في الجحيم من ينادي قائلا : هذا هو أخيل (اسخيلوس) وهذا ايربيد (ايربيدوس) الشاعران اللذان يتزعمان المسرح التراجيدي في الجحيم ، وبعدها تبدأ المناظرة النقدية بين الشاعرين في المنافسة على زعامة المسرح بأن يضعا أسطرا من مسرحياتهما على كفتي ميزان كالذي رأيناه في إلياذة (هوميروس)"٢" ليحسم هذا النزاع الأدبي الدقيق، ويجريان حوارا ساخنا يهاجم كل منهما فن الآخر لغرض النيل من شاعريته ، لأن(أرستوفان) كان يؤمن بأن كل مؤلف ينسج شخصياته على شاكلته وأن طبيعته تنعكس على شخصياته"٣" ، فيبدأ (يوربيدوس) بسرد عيوب (أسخيلوس) ، بأنه شاعر يعشق الوحدة والتعبيرات الفردية ولغته غير محكمة ينقصها التناسق والوضوح وكلماته صاخبة"٤"، ويرد عليه (أسخيلوس) بأنه هاو للتفاهات عاشق للصعاليك ، ويعيب عليه التجديدات التي أدخلها على الفن التراجيدي ، وأنه لم يحترم القوانين المقدسة ، وبعد تدخل اله المسرح يتسم جدالهما بالهدوء ، ويدور حول الحوار والأسلوب والشخصيات المسرحية والمؤثرات الخارجية وربط المسرحيات بالواقع السياسي والاجتماعي والثقافي ، حيث يؤكد (أرستوفان) ان ((هدف الفن هو إصلاح المجتمع الذي يظهر فيه ، وخلق السعادة في كل مكان ، وهو هدف أخلاقي إيجابي ، وبذلك يكون (أرستوفان) قد ربط الفن بالمجتمع ربطا محكما))"٥" ، ويتناول المؤلف على لسان (يوربيدوس) قسما من مسرحيات (أسخيلوس) بالتحليل ، ويعترف الأخير بتأثره بـ(هوميروس) ، وأنه مدين له ببعض شخصياته ، ثم يتحدث عن المرأة ومقته لها كما رأينا عند (هوميروس)"٦"، ويرى أن فنه صورة للواقع من غير أن يخفي شيئا ، كما يتحدثان عن بعض المصطلحات النقدية مثل اللغة ، والتكرار ، ومقدمة المسرحيات ... نظريا وتطبيقيا"٧".

وعلى الرغم من فطنة (يوربيدوس) ودقته في الحجة، و سفسطائيته فأن كفة (أسخيلوس) كانت أرجح"٨" للعيوب الفنية والخلقية ، لأن المسرحيات في تلك الحقبة كانت مرتبطة بالإنسان ومشكلاته الخلقية والاجتماعية كالذي يرى بوضوح في فلسفتي(أفلاطون ٤٢٩-٣٤٧

(٣) النقد المسرحي عند اليونان : ٥٣ .

(٤) الألياذة : ٢٢٥ تعريب عنبرة سلام الخالدي .

(١) النقد المسرحي عند اليونان : ٥٧.

(٢) نفسه : ٥٨.

(٣) النقد المسرحي عند اليونان : ٦١ .

(٤) أوديسة : ١٣٩.

(٥) النقد المسرحي عند اليونان : ٦١-٦٦ .

(٦) المسرحية العالمية : ١ : ١٤٢.

ق.م) و تلميذه (أر سطو ٣٨٤- ٣١٢ ق.م)"[١]"، وما ورد في المسرحية لها متشابهات من حيث الهيكل والمضمون في أعمال لاحقة ، وان الباحثين الذين أجروا دراسات مقارنة أو موازنة بين روائع أدبية مماثلة ، كـ(رسالة الغفران) لـ(ابي العلاء المعري ٤٤٩ هـ) ، ورسالة(التوابع والزوابع) لـ(ابن شهيد ٤٢٦هـ) ، و (الكوميديا الإلهية) لـ(دانتي ١٣٣١ م) لم يشيروا إلى هذه المسرحية.

وفي نهاية العصور الوثنية ظهرت ملحمة شعرية لاتينية للشاعر الروماني (فرجيليوس ٧٠ - ١٩ ق.م) ، القسم الأول منها (الكتاب الأول إلى السادس) محاكاة دقيقة لأوديسا (هوميروس)،حيث يحكي أسفار البطل الطروادي(ايناس) بعد سقوط (طروادة)حتى وصوله الى ايطاليا ، والقسم الثاني (الكتاب السابع حتى الثاني عشر) محاكاة لألياذة هوميروس حيث يحكي حروب(ايناس) وتأسيسه الأمبراطورية الرومانية"[٢]".

وورد في خاتمة نشيد رقم (١٣) سيبيل الكاهنة وفي النشيد رقم (١٤) مساكن الموتى إن (ا يناس) نزل مدينة (كومية)"٣" إلى داخل كهف ذي مائة باب وطلبت منها مساعدته في اجتياز مسكن الموتى لكي يظفر بزيارة أبيه ، وقد أشارت إلى الذين سبقوه في هذه الزيارة،"٤"، وعند ذلك تكلمت سيبيل قائلة : ((انه من السهل يا (ابن أنخيس) أن تنحدر إلى الجحيم فان الباب مفتوح ليل نهار ، ولكن الرجعة ومكافحة الهواء فيها كل المشاق ، ولم يفعل ذلك إلا القليل ... وإذا شئت مع هذا ان تحاول ذلك فاصغ الي ، في الغابة يختبئ فرع شجرة من الذهب ، مقدس لدى ملكة الجحيم ، وليس لرجل أن يذهب إلى رحلته هذه ، قبل أن يجتثه لكي تأخذه الملكة هدية لها ...))"٥"، ثم غاصت في الكهف ومعها (إ يناس)((لقد ذهبا معا يجوزان أرض الأشباح فكانا أشبه برجلين يقطعان غابة لا يتخللها إلا نور مريب ، يلقيه القمر وقد سطع حقا ولكن الغيوم تغشي السماء ، فأتيا أول ما أتيا أبواب الجحيم ، حيث يقيم الحزن والندم والسقم الشاحب والخوف والجوع الذي يحفز الناس إلى الخطيئة والعوز والموت والنصب ، والنوم نسيب الموتى وقريبه والحرب القاتلة ...))"٦"، وقدما بعد ذلك إلى نهر الجحيم ، حيث يكدح الملاح (شارون) ، وسار معهما عبر النهر ورأى حشدا من الناس ينتظرون صعود سفينة لعبور النهر ، ولا يعبر الا الذين جرت لهم مراسيم الدفن في الدنيا ، أما الذين ابتلعهم اليم فإنهم ينتظرون مائة عام"[٧]"، وقد أشار مرة أخرى إلى رحلة من سبقهما بقوله :((إن هذه أرض الأشباح ، أرض النوم والليل ، أما الأحياء فلا يعبرون في هذا الفلك ... وكان يوم سوء ذلك اليوم الذي حملت فيه (هرقل) و(ديونسوس) و (فيريذوس) ، مع انهم كانوا من ابناء الآلهة ،فقد كبل

---

(٧) النقد الأدبي الحديث : ٢٨ .

(٨) للمقارنة بين الملاحم الثلاث ينظر : الأدب اللاتيني ودوره الحضاري : ٢٢٢- ٢٤٠ .

(١) مدينة كانت تقع في جزيرة صقلية .

(٢) الأنياذة : ١٣٠.

(٣) نفسه ١٣١.

(٤) نفسه : ١٣٤ .

(٥) نفسه : ١٣٦.

(هرقل) الكلب الحارس للنار بسلسلة ، وجره وهو يرتجف رعبا من سيده))"١"، وباسلوب مغاير قيد الكلب بعد تنويمه بفطيرة منومة من العسل وبذر الخشخاش ، ولم يقسم فرجيل (جهنم) إلى طبقات ، وانما رأى حشودا وجماعات متباينة بأنتظار يوم الفصل ، فرأى الاطفال الذين ماتوا قبل سن الرشد، و الذين ماتوا بتهم مزورة ، وكذلك الذين ماتوا حبا "٢"، ثم رأى اشخاصا كان يعرفهم في الحياة الدنيا ، وقد سأل بعضهم عما جرى له ، وكيف مات ، ولما صار إلى المصير الذي هو فيه ، في تشابه كبير بينه وبين(اوذيسا) هوميروس و(رسالة الغفران) للمعري مع غلبة الاساطير والخوارق على حكايات فرجيل .

وفي النشيد منحى أخلاقي هادف يصور الذين انحرفوا عن جادة الصواب والخلق الرفيع ، مثل الذين ضربوا آباءهم وأمهاتهم أو خدعوا من وثق بهم ، أو أحتفظوا بغناهم لأنفسهم ... أو أثاروا نزاعا أهليا وبعدها قدما إلى مساكن الصالحين (الجنة) ، فوصف حالهم بأسلوب أدبي شعري فيه نوع من الأبداع ، لأن (هوميروس) و(أرستوفان) لم يتناولا الفردوس ولم ينتقلا إلى الجنة، وربما تأثر بما ورد في التوراة وبما جاء في وصف الرسل للجنة ، وان الامم لم تخل من الرسل((وان من أمة إلا خلا فيها نذير ...))"٣" ، و أوصافه رعوية مستقاة من بيئته المحلية كشاعر رعوي مزارعي ، فهو يقول : ((هنا الفسحات الخضراء تحيطها الغابات ، و نور جنتهم أشرق و أعم مما وقعت عليه عين بشر ، فلهم شمس غير شمسنا ، ونجوم غير نجومنا ، فبعضهم يلهو بالملاكمة والركض ، وبعضهم يرقص رقصا موقعا ، وهم يغنون أنغاما بهيجة .. وكانت خيولهم ترعى في الحقل ، فهم لا يزالون يحبون الرماح و المركبات والخيول كما كانوا يحبونها على الأرض ، وقد أقبل بعضهم يحتفلون ، وقد أتخذوا من العشب مجلسا ، وفاح عليهم شذى لطيف ...))"٤"، ثم يفصل في مراتب أهل الجنة ، فيقدم حسب التسلسل ، اولا الشهداء الذين ماتوا من أجل وطنهم ، فالكهنة المقدسين فالشعراء الصالحين فالمخترعين الذين قدموا للبشرية خدمة عظيمة في نزعة أنسانية صرفة من غير أن يفصل في بقية الفئات"٥" ، ثم رأى والده وقال له :((دعني أعانقك وأضعك بين ذراعي)) ، ولكنه حينما حاول كان كمن يقبض على الهواء في أشارة واضحة إلى أن أهل الجنة أرواح وأشكال دون جسد كالذي وجد عند هوميروس ، وبعد ذلك القى والده عليه محاضرة في وحدة الوجود باسلوب شعري قائلا : ((ان هناك روحا واحدة في السماء والأرض والنجوم وضياء القمر السيار وفي الشمس ذاتها التي تنبت منها حياة الأنسان والحيوان ، والطير والهواء ، وأسماك البحر ، ولهذه الروح طبيعة الهية – في أشارة إلى نقاء النفس الأنسانية – ولكن الجسم الفاني يجعلها بطيئة بليدة ، وهنا يأتي الخوف والرعب ويأتي الحزن والفرح ، ولهذا فإن الروح تكون في هذه الحالة

(٦) الانياذة : ١٣٧.

(٧) نفسه : ١٣٩.

(١) فاطر : ٢٤.

(٢) الانياذة : ١٤٥.

(٣) نفسه : ١٤٦.

وكأنها في سجن ...))"[1]"، ثم يفصل في كيفية تخلص الروح من شرور الجسد عن طريق التعليق في الهواء أو الغسل بالماء أو الحرق بالنار - وهي عادات متبعة بحق الميت عند الزرادشتية والأسلام وقسم من المسيحية على التوالي - دون أعفاء المذنبين منهم من عذاب جهنم لغرض التطهر الكامل ثم الذهاب إلى نهر النسيان للشرب منه والعودة إلى العالم الأعلى في غفران كلي لبني البشر"[2]"، ثم كشف له المستقبل عن الذين يأتون من بعده من نسل إيناس و يبنون روما ويؤسسون إمبراطورية عظيمة"[3]" .

وقدم فرجيل بكتاباته وأشعاره لوحات رائعة متكاملة غلبت عليها صور جميلة مزخرفة تعكس شاعريته الرعوية وطموحه ونزعاته الوطنية ، كما تضمنت لوحاته صورا معتمة تعبر عن معاناته وآلامه وما عاناه في رحلته من معاكسة القدر له ، وانه إتخذ من (هوميروس) دليلا في أحيان كثيرة ، وكان بطله" ايناس" يلعب دورا يشبه أدوار أبطال هوميروس ، مثل أخيل و أوديس ، كما انه لا يخفي تأثره بأرستوفان من خلال صور وأحاديث كثيرة مقتبسة من مسرحية "الضفادع" ، كالذي وضحه في مقدمة ملحمته ، ان ديونسوس ورفيقه سبقا بطله في زيارة الجحيم .

لم تظهر في الأنياذة آراء نقدية بارزة أو مناظرات أدبية أو ذكر للشعراء عدا الاشارة إلى الشعراء الذين لم ينحرفوا عن جادة الصواب ، وكان لهذا العمل أثره الأكبر في(الكوميديا الألهية) لدانتي كما يتبين لاحقا .

و في الشرق رأى (أردشير بابكان ٢٢٦ - ٢٤٦ م) مؤسس الأمبراطورية الساسانية ان الديانة الزرادشتية قد تعرضت للضعف والأهمال منذ غزو الأسكندر المقدوني لبلادهم ، فأراد اعادة هذا الدين إلى مكانته القديمة ، فأمر بترجمة الكتب الزرادشتية القديمة إلى البهلوية ، وأعادة معابد النار للعبادة ، فجمع أهل العلم والمعرفة للبحث عن الوسائل المؤدية إلى أحياء هذا الدين وتطبيق شعائره ، فشكل منهم هيئة تتولى هذه المهمة على رأسها الحكيم (أرداويراف)، ومن أعمال هذه الهيئة تذكير الناس بما ينالونه من النعيم أو العذاب في العالم الآخر تبعا لما قدموه من أعمال في الدنيا ... وقد تخيل (أرداويراف) انه رحل إلى العالم الآخر وأطلع على أحوال أهل الفردوس وما هم فيه من نعيم وسعادة ثوابا بما قدموا في الدنيا من خير وأعمال صالحة كما أطلع على أهوال أهل الجحيم وما هم فيه من عذاب وآلام جزاء بما قدموا في الدنيا من شر وأثم وقد سميت آراؤه وتعاليمه بـ(هامات أرداويراف) او(كتاب أرداويراف)"[4]" ، ويروي ان الملاك كان يخاطبه، ويقول له : ((أستمع يا أرداويراف ، لايتم أمر بلا جهد ، ولكل جهد جزاء ، والعامل الفقير الذي يقضي يومه في العمل النافع يستحق أجره آخر النهار ، ولذلك فالذين يقضون حياتهم في فعل الخير

(٤) نفسه : ١٤٦.

(٥) نفسه : ١٤٧.

(٦) نفسه : ١٤٧-١٤٩.

(١) دراسات في الشاهنامة : ٢٦٩ .

ينالون جزاءهم في الدار الباقية .....))"[1]"، ومن وصايا الملاك ((... انك عندما تزمع في هذه الدنيا القيام برحلة تزود نفسك لا محالة بالمال والملابس والمؤنة ، وتهيئ لنفسك أسباب الوقاية من جميع ما قد يصيبك من أخطار الطريق ، فماذا أعددت لرحلتك الأخيرة من العالم السفلي إلى العالم العلوي ، ومن هيأت من الرفاق لاصطحابك في هذه السفرة الطويلة ؟ ... ولتعلم ان رفيقك الذي يعينك في هذه الرحلة هو الله ، ولكي تحظى منه بالمساعدات يجب أن تسلك سبيله وتعتمد عليه ، وليكن زادك في رحلتك الإخلاص والأمل واستحضار ما قدمته من خير .))[2].

وفي مكة أسرى الله تعالى برسوله الكريم إلى العالم العلوي في كسر لقوانين الزمن ، وقد رأى بعينيه أحوال أهل الجنة وأهوال أهل الجحيم ، ولم تدخل المعجزة عالم الأدب ، لأن الخيال عنصر فعال فيه بينما الأسراء والمعراج حقيقة واقعة، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ...﴾"[3]"، وقد كان لهذه المعجزة أثرها الجلي في الرحلات الخيالية إلى العوالم الأخرى في الأدب ، وقد أقر المستشرقون بذلك كما يتبين لاحقا ، وان أدباء المسلمين و متصوفيهم قد أستقوا منها في كتاباتهم لا سيما في موضوع التسامي عند المتصوفة، أو في رحلاتهم التي غلب عليها الجانب الفلسفي كـ(الحارث بن أسد المحاسبي ٢٤٣هـ) في كتابه (التوهم)"[4]" الذي ربط التصوف بالشريعة على طريقة أهل السنة ، وكما عند(أبي يزيد طيفور ابن عيسى البسطامي) الذي أدخل فكرة الفناء في الذات الألهية ومعراجه إلى السماء ، وروي عنه((صعدت إلى السماء وضربت قبتي بازاء العرش))"[5]"، و(ابن مسرة القرطبي) المتوفى في القرن الثالث للهجرة الذي مهد للفتوحات التي كتبها(محيي الدين بن العربي ٦٣٨هـ)"[6]" .

وقد تمادى المستشرق(أسين بلاثيوس ت ١٩٤٦ م) بان شبه بين الصورة العامة لصعود (دانتي) و (بياتريس) في الكوميديا الألهية لدانتي وبين رحلة ابن العربي الذي توصل من خلاله إلى ايجاد نوع من الشبه بين شطحات ابن العربي وبين المعراج"[7]" .

أما في الأدب العربي فإن تأثير المعراج يظهر بشكل أوضح في رسالة الغفران لـ(أبي العلاء المعري ٤٤٩هـ) التي أثيرت حولها الدراسات الكثيرة بسبب ما أثاره المستشرقون من وجود علاقة بينها وبين الكوميديا الألهية لدانتي ، ووجود تشابه بينها وبين رسالة التوابع والزوابع لـ(أبن شهيد الأندلسي ٤٢٦هـ).

---

(٢) الأدب المقارن / محمد غنيمي هلال : ١٣٥.

(٣) دراسات في الشاهنامة : ٢٦٩ –٢٧٠ .

(٤) الأسراء : ١ .

(٥) كتاب التوهم : المحاسبي / تحق أرثر أربري ، القاهرة ١٩٣٧.

(١) العصر العباسي الثاني : ١١.

(٢) رسائل ابن العربي كتاب الأسراء : ٢ – ٩٢.

(٣) الغفران / بنت الشاطئ : ٣٢٦.

وقد الف المعري هذه الرسالة تنفيسا لما لقيه من الدنيا من الحرمان والمآسي ، وما ضاق به في عالمه من العقاب والثواب والغفران ، وهي جواب لرسالة بعث بها اليه ابن القارح"[١]"، يسأله فيها عدة مسائل تتعلق بالأدب والفلسفة والزندقة والتصوف .

ويتخيل المعري في القسم الأول من الرسالة ان ابن القارح خطر له ان يقوم برحلة إلى يوم الآخرة ، فركب جملا من جمال الجنة ، فأراد دخولها وأنتظر في الموقف ورأى ما فيه من هول و شفاعة ، فأقام فيها ستة أشهر متحملا الحر والظمأ ، وفكر أن يخدع سدنة الجنة عن طريق الشعر فلم يفلح ، بعدها دخل الجنة، ورأى فيها جماعة كان يتوقع أن يراهم في النار ، فحاورهم وسألهم عن سبب الغفران ، وكان بينهم شعراء من الجاهلية والأسلام ، وبعدها قصد جهنم ، ورأى هول أهلها ، ومر بعدد كبير من الشعراء والأدباء"[٢]"، واسلوبه قصصي جاد في معالجة موضوعات مختلفة من خلال حوار و شعر ووصف لما رآه ، وقد اخذ شخصياته في أوضاع متباينة، ومن زوايا مختلفة ، معتمدا على الجد والسخرية والتهكم ، وفي كتاب (الغفران) لبنت الشاطئ دراسة مفصلة عن الرسالة"[٣]"، حيث قارنتها بالكوميديا الألهية لدانتي كما وازنتها برسالة التوابع والزوابع لأبن شهيد، ولكنها كغيرها من الباحثين لم تدرك أوجه الشبه بينها وبين مسرحية الضفادع رغم علمها بان الآثار اليونانية قد بدأت طريقها إلى الترجمة منذ عهد(عبدالملك بن مروان ت ٨٦ هـ) ، وان اللاتينية كانت معروفة عند المثقفين لا سيما في الأندلس، و في أديرة المسيحيين ، ويقول(ابن حزم الأندلسي ٤٥٦ هـ) في ذلك ((ولهذا المعنى في اللطينية لفظة لائحة البيان))"١ " ، فضلا عن ذلك ان الشعر الروماني كان متداولا بين الأندلسيين ، وان مدن (حران) و(نصيبين)و(رها) كانت مراكز للثقافة اليونانية"٢".

أما أوجه التشابه فيمكن ملاحظتها فيما يأتي :-

١- ان الظروف السياسية والأجتماعية والثقافية في القرن الخامس للهجرة كانت متشابهة مع الظروف التي كانت سائدة في عهد أرستوفان في القرن الرابع ق.م. .

٢- اتهم المعري في دينه و فلسفته ، كما اتهم يوربيدوس في دينه وعدم تقيده بالتعاليم والأساطير الوثنية .

٣- رسالة الغفران فن قصصي فيها حيوية وتشخيص متكونة من ثلاثة فصول متعاقبة ، وهي الفردوس والمحشر والجحيم مع المقدمة ، والمكان فيها محدد بالأحداث التي تجري فيه ، والزمان غير محدد مفتوح ليوم الساعة ، في حين تتكون مسرحية الضفادع من المقدمة وأربعة فصول وأحداثها متشابهة .

---

(٤) للمزيد ينظر : الغفران : ٤٣-٤٤ ، ٢٦٣.

(٥) رسالة الغفران / نشر محمد عزت نصر الله – بيروت : ١٩٦٨.

(٦) الغفران لأبي العلاء المعري / دراسة نقدية / عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ – دار المعارف – مصر – ١٩٥٤ .

٤- رحلة اله ديونسوس متشابهة مع رحلة ابن القارح ، ولكن الأول هو الفاصل والحكم والثاني ، هو الشخصية الرئيسة .

٥- شخصية ابي العلاء لا تختلف كثيرا عن شخصية أرستوفان في أخفاء دور الكاتب والمخرج والملقن على نفسه .

٦ - يصف المعري بشكل مسهب مشاهد من الجنة ، فيصف أشجارها وأنهارها و أوانيها (الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة) ، وأوصافه مستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأساطير ، بينما أوصاف أرستوفان مستمدة من التراث اليوناني لا سيما ملحمتي هوميروس .

٧- أخيليوس ويوربيدوس هما الشخصيتان الرئيسيتان في المسرحية ، بينما ابن القارح هو الشخصية الرئيسة في رسالة الغفران .

٨- الغرض الرئيس من جوهر مسرحية الضفادع هو النيل من يوربيدوس على واقعيته وزعامته للمسرح على الرغم من وفاته ، بينما كان غرض المعري السخرية من ابن القارح لنفاقه وعدم اخلاصه لأولياء نعمته من آل المغربي في مصر"٣".

٩- الشخصيات الثانوية في الرسالة حقيقية وعددهم كبير يتناسب مع ضخامة أدباء الأدب العربي بينما الشخصيات الثانوية في المسرحية قليلة و محدودة .

١٠- أستغل الشاعران أثريهما لبيان آرائهما النقدية تنظيرا وتطبيقا ، وقد ورد معظم آراء أرستوفان في المناظرة النقدية بين أسخيلوس و يوربيدوس ، او بين دينسوس وخادمه ، بينما تناول المعري أخبار شعراء الجاهلية والإسلام ، وأثار طائفة من المسائل اللغوية والأدبية"٤"، وجعل الشعر وسيلة للغفران كالذي حصل للأعشى والحطيئة و عبيد بن الأبرص و غيرهم .

---

(١)ابن حزم الاندلسي : ١٥، ٥٤ .

(٢)ملامح يونانية في الادب العربي : ١١ .

(٣) الغفران : ٤٣ .

(٤) عن المسئلل اللغوية والنقدية في كتاب رسالة الغفران ، ينضر كتاب (النقد واللغة في رسالة الغفران) االمجد طرابلسي ، الجامعة السورية ، ١٩٥١ .

وان ماورد في اعلاه لاتعني قطعا ان ابا العلاء قد اطلع على المسرحية ، لا سيما ان المسرحيات لم تكن مفهومة عندالمسلمين ، وانها كانت متوقفة تماما عند الغرب في حقب الحضارة الاسلامية ، وان ابن سينا و الفارابي قد وقعا في اوهام كثيرة عند ترجمتهما للاثار اليونانية ، خاصة كلمتي (التراجيديا والكوميديا) ، وفي الوقت نفسه لاننفي اطلاع ابي العلاء على الهيكل العام للمسرحية

في عهد كانت مراكز الثقافة اليونانية قريبة من بيئته ، وان هنالك تشابها كبيرا بين الاثرين من

حيث المنهج في عرضهما للاراء النقدية والمحاورات الادبية .

وللمعري رسالة أخرى كتبها في أواخر عمره بأسم (رسالة الملائكة) ،فهو يقول فيها :((وقد بلغت سن الأشياخ ، وما حار في يدي نفع من هذا الهذيان والظعن إلى الآخرة قريب))"[1]"وهناك تشابه كبير في المنهج مع رسالته الأولى من حيث العرض وطريقة التناول وأختيار العالم الآخر مسرحا لروايته، وهي مختصة بالمسائل الصرفية واللغوية ، ومما جاء فيها محاورته مع ملك الموت كقوله ((أمهلني ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل ، فأقيم الدليل على أن الهمزة زائدة فيه ، فيقول الملك : هيهات : ليس الأمر الي ﴿وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾))"[2]"، وفي الرسالة أبيات شعرية كثيرة .

وتعد رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي (٤٢٦هـ) من الرسائل الأدبية التي عرف فيها التوزيع المسرحي ، وقال عنها زكي مبارك ((والمسرح واحد تقريبا ، فهو عند ابن شهيد وادي الجن في الدنيا، وعند ابي العلاء وادي الإنسان في الآخرة))"[3]"، وتتكون الرسالة من مقدمة وأربعة فصول.

وفي المقدمة يمهد لرحلة إلى عالم الجن مع زابعة التقى به حين كان ينظم شعرا في رثاء حبيب له مات فاستغلق عليه ، فأسعفه فارس يمتطي فرسا أدهما ، ويصيح أعجزا أيها الفتى؟ وبعد حوار يجيز أبياته فيخبره أنه زهير بن نمير من أشجع الجن ، وتتفق معهما الصحبة ويتفقان على الرحيل إلى عالم الجن حيث الشجر والفواكه والمياه الوفيرة .

وفي الفصل الأول : يلتقي بتوابع الشعراء : وهم (أمرؤ القيس) و (طرفة) و(قيس بن الخطيم) من الجاهليين ، و بأبي تمام والبحتري وأبي نواس والمتنبي من العباسيين ، فيجري معهم مناظرات شعرية ينتزع منهم الأعجاب والأجازة .

وفي الفصل الثاني : يلتقي بتوابع الكتاب ، وهم : الجاحظ و عبد الحميد الكاتب ، ويقرأ عليهما رسالته في صفة البرد والنار ورسالة في الحلواء وهي أشبه بالمقامة ثم يصف برغوثا وثعلبا باسلوب هزلي دقيق ، وبعدها يلتقي بتابع(بديع الزمان الهمذاني)، فيصف له جارية باسلوب أدبي ومن ثم يصف الماء في قطعة أخرى .

وفي الفصل الثالث في مجلس من مجالس الجن يجري هناك محاورات نقدية حول ما تعاورته الشعراء من المعاني ، فيورد نصوصا شعرية لمجموعة من الشعراء يظهر فيها براعته في تتبع المعاني.

والفصل الرابع يتكون من مشهدين ، في الاول يلتقي بقطيع من حمر الجن وبغالهم يحتكمون اليه في قصيدتين لبغل وحمار، فيحكم بينهما بطرافة واضحة ، وفي الثاني يتحدث مع إوزة شهلاء بيضاء فيصف

(١) رسالة الملائكة ، المعري / ٥ نشرها المجمع العلمي العربي – دمشق / ١٩٤٤ مع مقدمة للمستشرق كراتشوكفسكي.

(٢) نفسه : ٨-٩.

(٣) النثر الفني في القرن الرابع : ٢٦٠.

جمالها وحركاتها "[١]"، وهذه الرسالة تلتقي بمسرحية الضفادع في نقاط كثيرة لاسيما انها الاولى في الادب العربي في الرحلات الخيالية تعالج المناظرات الادبية والمحاورات النقدية ، والغاية منها اظهار المقدرة الفنية للبطل الذي يظهر على المسرح من بداية الرسالة إلى خاتمتها كشاعر وكاتب وناقد في عهد كانت اللغة الرومانية متداولة بين الاندلسيين"[٢]"، ولكن الشبه الاكبر يظهر بينها وبين رسالة الغفران للمعري ، مما دفع الباحثين إلى مناقشة عوامل التأثر والتأثير، فذهب زكي مبارك "[٣]"، واحمد امين"[٤]" ، واحمد هيكل "[٥]"، وغيرهم ...الى ان ابا العلاء كان مقلدا لابن شهيد، لان تأريخ رسالة الغفران متفق عليه في سنة(٤٢٤ هـ) وتاريخ رسالة التوابع بين سنتي (٤١٤ - ٤١٦ هـ) ، كما ذهب اليه معظم الباحثين"[٦]"، بينما رجح احمد ضيف"[٧]" تأثر ابن شهيد بالمعري متغافلا ان السابق لا يتأثر باللاحق بسبب عدم ضبطه لتاريخي وضع الرسالتين .

وقد ناقش الباحثون هذا الموضوع وتوصلوا إلى عدم وجود صلة بين الرسالتين ، لانهما من اثرين متميزين لأدبين مختلفين متباعدين "[٨]"، متغافلين عن الترابط الوثيق بين الادبين العباسي والاندلسي وانهما في حقبة زمنية واحدة ، وان الاندلسيين كانوا يجدون اثر المشارقة في امور كثيرة كما ذهب إلى ذلك ابن بسام ((إلا ان أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل الشرق ...))"[٩]"، وان المشارقة كانوا يحرصون على متابعة الحركة الادبية في الاندلس .

والأرجح إن الرسالتين قد تأثرتا بالآثار السابقة لأن الثقافات العالمية كلها في تلك الحقبة قد انصهرت في بودقة الحضارة العربية الإسلامية ، ولنا في ذلك الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي(دانتي ١٣٣١ م) الذي جمع بين دفتيها صورا ومشاهد من الإسراء والمعراج ورسالة الغفران للمعري والفتوحات المكية لأبن العربي"[١٠]" فضلا عن ملحمتي هوميروس وملحمة الانياذة لفرجيل الذي اتخذه هاديا له في رحلته إلى العالم الآخ

والملحمة في ثلاثة أقسام ، خصص القسم الأول لجهنم في (٢٤) نشيدا ، والقسم الثاني للمطهر في (٣٣) نشيدا، والقسم الأخير للفردوس في (٣٣) نشيدا ، ،واستغرقت الرحلة سبعة أيام .

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / ١/ ١ : ٢٤٥ ،رسالة التوابع والزوابع دار صادر بيروت ١٩٦٧.

(٢) ملامح يونانية :٨٩ .

(٣) النثر الفني : ١: ٣٢٠ .

(٤) ظهر الاسلام ٣ : ٢١٠ - ٢١١ .

(٥) الادب الاندلسي : ٣٨٨ .

(٦) تاريخ الادب العربي من الفتح حتى سقوط غرناطة :١٨٨ .

(٧) بلاغة العرب : ١٢ .

(٨) الغفران : ٣١٧ .

(٩) الذخيرة ١ / ١ : ١٢ .

(١٠) الغفران : ٣٢٤ ، ٣٢٧ ،٣٣٥ .

(١) الكوميديا الألهية / دانتي / ترجمة طه فوزي - دار المعارف - مصر ، من الأدب المقارن / نجيب العقيقي :١٣١ - ١٣٤.

والرحلة تبدأ بالسير في غابة كثيفة للوصول إلى هضبة تلمع فوقها اشعة شمس الغروب ، فتعترضه ثلاثة وحوش فيستنجد بأول طيف يلمحه الذي هو الشاعر (فرجيل) صاحب الانياذة ، فيتخذه دليلا إلى النار والمطهر، لأن فرجيل سبق وزار الجحيم (العالم السفلي) الذي يقع في باطن الارض ، فيصعدان على زورق (كارون) الذي ورد ذكره في مسرحية الضفادع ، ويصلان إلى النار التي وجداها مقسمة إلى تسع طبقات على شكل مدرجات دائرية تتوزع بينها الخاطئون بقدر اعمالهم ، في الطبقة الأولى يجدان الاطفال الذين ماتوا دون تنصير والعلماء والشعراء الذين ساعدوا على رقي الانسانية ولم يكونوا من المؤمنين ، وفيهم من المسلمين ابن سينا وابن رشد ، وعقابهم الحرمان من رؤية الله ، وفي الطبقة الثانية وجدا أولئك الذين أستسلموا لشهوات الجنس ، فعوقبوا بريح صرصر تدور بهم ، وفي الثالثة يلتقيان بالشرهين الذين تمطرهم السماء بالثلج والبرد ويمزقهم كلب الحراسة الشرس بمخالبه ، وفي الطبقات الأخرى وحسب التسلسل يلتقي بالبخلاء والمترفين الذين يدحرجون الصخور ومن ثم بالمغضوبين الذين يمزق بعضهم بعضا في وحل ، ومن ثم بالملحدين والمتكبرين الذين يشوون في قبور من لهب ، وبعدها يلتقيان بالقتلة والجبابرة والسفاكين والمنتحرين الذين يغرقون في بحر من الدماء بينهم الأسكندر الأكبر ومجموعة من خصوم دانتي ، ومن ثم بالمتملقين والمزيفين والسحرة والمتاجرين بالعدالة واللصوص والنمامين والغشاشين في منطقة الحفر اللعينة ، وفي الطبقة التاسعة يرى الخونة في بحيرة متجمدة لا تظهر منهم سوى رؤوسهم ، بينهم خصوم دانتي السياسيين والشيطان (لوسيفروس) المثلث الوجه الذي له ست عيون وجناح على شكل خفاش يتعلق به دانتي وفرجيل ليبلغا وسط الأرض الذي يؤدي إلى المطهر – الذي يشبه المحشر او الموقف عند المعري - ومناظره غريبة مفزعة وأشعته لازوردية تعكسها السماء على شاطئ البحر الذي تتطهر فيه الأرواح قبل دخولها الجنة ، وفيه يلتقي ببعض الفنانين وبالشاعر (سورياللودي مانتو) الذي ألقى بين يديه قصيدة في هجاء(فلورنسا) .

والمطهر كذلك ذي سبع دوائر تتوزع عليها الخطايا ، ويرى فيه الشخصيات التاريخية المعاصرة له.

وفي القسم الثالث وبعد اجتيازه جدارا من اللهب يدخل الفردوس فيصف مروجها وأنهارها ، ويلتقي بحبيبته التي حرم منها بأجمل صورة ، ويصاحبها في رحلة إلى السماوات السبع ذات الكواكب المتحركة المعروفة في مجموعتنا الشمسية ، حيث يتوزع أهل الجنة عليها ، وبعدها يمر بالسماء الثامنة ذات النجوم الثابتة ، فيشاهد انتصار يسوع ويسأله القديسون عن الإيمان والرجاء والمحبة . وفي الخاتمة يصل الى عرش الله حوله تسع دوائر من اللهب ، فيها جوقات الملائكة تسبح بحمده وعظمته ، فينبهر ، ويعترف بعجزه عن التعبير عما تكشف له. والملحمة شعر مجازي موسوعي عن الدين والتصوف والثقافة والاجتماع والتاريخ ، ويظهر فبه تعصبه للمسيحية والخلق الرفيع ، وفيها صور عن عالم العصور الوسطى "١".

وقد أقر المستشرق الأسباني(أسين بلاثيوس ١٩٤٤ م) بتأثردانتي بالتراث الإسلامي في كتابه (العلم الأسلامي لما بعد الحياة في الكوميديا الإلهية) بقوله:((إن أصولا إ سلامية -من بينها الغفران -قد كونت أسس

الكوميديا الإلهية))"[١]"، وبيَن تأثردانتي بمعجزة الإسراء والمعراج ، ولكنه لم يستطع تحديد طريق هذا التأثرمما أثيرحوله اعتراضات كثيرة من قبل الباحثين الإيطاليين الوطنيين الذين كان همهم إرجاع رائعتهم الأدبية إلى تراثهم الأوربي والى خيال دانتي الذي لم يكن يعرف العربية ، إلا أن المستشرق الإيطالي (تشيرولي) في بحثه(كتاب المعراج ومسألة المصدر العربي الأسباني للكوميديا الإلهية) والمستشرق الأسباني (مونيوس سندينو) في كتابه(معراج محمد) قد أكدا هذا التأثر باكتشاف مصدر دانتي باعتماده على مخطوطة اصلها عربي وموضوعها معراج الرسول مترجمة إلى اللغات الأسبانية والفرنسية واللاتينية في مكتبتي أوكسفورد في لندن والأهلية في باريس ومكتبة فاتيكان"[٢]"، وقد أورد محمد غنيمي هلال مشاهد متشابهة بين الأثرين"[٣]"، ولكنه رفض تأثر دانتي برسالة الغفران مباشرة بقوله:((وقد دفع هنا التشابه بعض الباحثين إلى القول بان أبا العلاء أثر في دانتي))"[٤]"لعدم أكتشافه طريقة التأثر على عكس الباحثين الآخرين الذين أكدوا تأثر دانتي بالمعري منهم جرجي زيدان"[٥]"وكرد محمد علي"[٦]"وبنت الشاطئ التي قالت :((اما نحن فنرى أتفاق الشاعرين في الحديث عن عالم آخر سببا يكفي للحكم بالأخذ واذا أختلف الجو والموضوع وتباعد الروح وتغاير التناول وتباين الآراء))"[٧]"، وقد أعطت أمثلة كثيرة على وجود التشابه بين الأثرين"[٨]"، كما ان بلاثيوس الذي تخصص في التصوف والفلسفة الأسلاميتين"[٩]"قد أكد على تأثر دانتي بـ(محي الدين بن العربي) في فتوحاته المكية وسلفه (ابن مسرة القرطبي) معتمدا على التشابه الموجود بين الصورة العامة لصعود دانتي وحبيبته في آفاق السماء وبين رحلة فلسفية صوفية له"[١٠]"، ولكن اللافت للنظرهو انه عندما أعلن بلاثيوس نتائج بحثه كانت الردود قوية بين مناقض ومؤيد في الغرب ، و ان بعض الباحثين العرب قد هولوا تلك المعلومة إلى نظرية خطيرة"[١١]"بتأثر دانتي بالثقافة الأسلامية علما بأنه قدذكر ابن سينا وابن رشد وغيرهم من أعلام الحضارة الأسلامية، وأن المؤثرات الأسلامية قد أنتقلت إلى أوروبا بمداد عربي من الأندلس وصقلية والشرق الأسلامي ، وان أطفال الغرب إلى عهود قريبة كانوا يعرفون السندباد وشهرزاد وعلي بابا أكثرمن أطفال الشرق ، وان الكتب المترجمة كانت تدرس في المدارس الأوروبية إلى حقب

(١) الغفران : ٣٢٤.

(٢) الأدب المقارن / محمد غنيم هلال : ١٥٤.

(٣) نفسه : ١٥٦ – ١٥٧.

(٤) نفسه : ٢٣٠.

(٥) تاريخ الأداب العربية / ٢ :٢٦٢ .

(٦) جحيم دانتي (المقدمة ١٥ بقلم كرد محمد علي) ، ترجمة أمين شعر القدس ١٩٣٨.

(٧) الغفران : ٣٢٦.

(٨) نفسه : ٣٣٦ – ٣٣٩.

(٩) تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ٣٨.

(١٠) الغفران : ٣٢٦.

(١١) نفسه : ٣٣٩.

متأخرة من عصرالنهضة ، وان مدن الأندلس كانت شوارعها مرصفة ومنورة ، وفيها نظام دقيق للأحتساب والنظافة والقضاء في عهود كانت أوروبا تعيش في ظلام دامس ، فضلا عن ذلك فان المبالغة في تعقب عوامل التأثر والتأثير قد حجمت النواحي الأبداعية في كثير من الروائع الأدبية التي نشأت بفضل توارد الخواطر وانبثاق بيئات ملائمة وظهور أدباء قد أستنشقوا نسائم الحضارات المختلفة التي أنتشرت في ربوع العالم .

وفي القرن السادس للهجرة ظهر أديب يكاد يكون مجهولا في العصر الحاضر مع أن القدامى كانوا يعرفونه أكثر مما نعرفه نحن ، وهو الشيخ(ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ٥٧٥ هـ)"[١]" صاحب كتاب (منامات الوهراني ومقاماته ورسائله)"[٢]"، قال عنه(ابن خلكان ٦٨١ هـ) :((وعمل الوهراني المنامات والرسائل المشهورة به وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال طرفه ، ولو لم يكن فيها إلا المنام الكبير لكفاه ...))"[٣]".

اما(الصفدي ٧٦٤ هـ) فانه نقل طرفا من مناماته وقال عنه :(...والمنام الذي عمله سلك فيه مسلك ابي العلاء المعري في رسالة الغفران ، ولكنه الطف مقصدا وأعذب عبارة))"[٤]"، ويستهل كتابه بوصف بغداد ومدح الخليفة في مقامة له، ثم ينتقل إلى العالم الآخر متخذا من الحلم وسيلة لعرض رحلته التي يغلب عليها الوعظ والإرشاد والنقد الإجتماعي .

ويبدأ منامته بعد وصول خطاب له منع عليه النوم إلى هزيع من الليل، فلما نام رأى أن القيامةقد قامت ، وأن المنادي ينادي هلموا إلى العرض على الله تعالى ، فخرج من قبره إلى أن وصل المحشر بعناء وتعب شديدين ، فيلتقي بصاحب له وتقوم بينهما ملاحاة ومماحكة ، ويقبض عليهما خازن النار ، ويرمي في رقبتيهما سلسلة لسحبهما إلى جهنم ، ويعدد لهما ما أقترفاه من الآثام في الدنيا ، وبعد جهد كبير يطلق سراحهما، لأنهما من أهل القرآن والحديث ، كما يذكر مجموعة من الأسماء الذين ما ينفكون يوم القيامة يزاولون ما غلب على طباعهم في الدنيا مثل ابن العميد ملك النحاة .... .

ويقسم الناس إلى فرق ، وكل فرقة تجد الشفاعة والحماية عند من أحبه في الحياة الدنيا ، وشفاعة الرسول بعيدة لكثرة الأزدحام كما يتناول المذاهب والفرق الأسلامية والأتجاهات المختلفة ، ويذكر بعض الأعلام الكبارالذين كان لهم دور في عهده مثل والد صلاح الدين وابنيه أسد شيركوه وصلاح

---

(١) يرجع الفضل في معرفتي له الى أستاذي الفاضل د . ناظم رشيد أطال الله من عمره ، تقديرا ووفاءا .

(٢) منامات الوهراني ومقاماته ورسائله / الوهراني / تحق ابراهيم شعلان و محمد نعش ، الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة –١٩٦٨ ، وفي العصر الحديث ظهرت ثلاث روايات بعنوانات متشابهة وهي :في حلمي / نامق كمال باللغة التركية ، استنبول ١٨٩٥م في حلمي / معروف الرصافي ، جريدة الحوادث البغدادية ، (لةخةوما) في حلمي / جميل صائب / باللغة الكردية ، مجلة ذيانةوة / ١٩٢٥ م

(٣) وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٥

(٤) الوافي بالوفيات ٤ : ٣٨٦

الدين يوسف الأيوبي ، ويثني عليهم ، ويتطاول على المتصوفة فيحرمهم من شفاعة الرسول ، لأنهم قوم قد غلب عليهم العجز والكسل وهربوا من الكد ولا عمل لهم إلا الأكل والنوم ولا نفع فيهم للمسلمين ، وتنتهي المنامة بوقوف الوهراني وصاحبه على الحوض ومرور موكب علي بن أبي طالب (رض) ، وصياح محمد بن الحنفية صيحة عظيمة أخرجته من نومه بعد أن سقط من سريره .

والمنامة محاكاة للغفران ، وتدور على تصوير صفات الناس قبل ورود الحوض ، وهي في فصل واحد يتركز على مكان الحشر ، ومعظم شخصياته غير معروفة لدينا ، وأسلوبه سهل دارج ، فيها شعر وحكم وأمثال وقواعد نحوية وآراء نقدية كقوله :((.. هذه الرقعة صاحبها جاهل بصناعة الكتابة وظاهر التكلف فيها ، وفيها يريد أن يتم نقص الصناعة بالألوان المشرقة والتذهيب ..))"[1]"، وموضوعاتها تدور حول الشفاعة والمظالم وأعمال الناس في الحياة الدنيا بأسلوب تهكمي .

أما في الأدب العربي الحديث فأن الموت وما بعده من الموضوعات التي شغلت الشعراء لا سيما الرومانسيين منهم ، وكانت تدخل في نفوسهم الشك والحيرة واليأس ، ويعد (عبد الرحمن شكري ١٩٥٨م) من أكثر الشعراء لهوجا لما بعد الموت ، متأثرا بالرومانتيكيين الذين طربوا لمشاهدة القبور، وكانت لنفسيته القلقة المضطربة أثر في شعوره بالملل وطلب الموت والتفكير فيما بعده ، فله قصائد في الموت والموتى والقبور ويوم البعث . وكان يتخيل للموتى عوالم خاصة ، وان لهم أصواتا ترن في آذانه ، يقول في قصيدة (صوت الموتى)"[2]"

ألا أن للأموات صوتا كأنه ... خرير المياه الجاريات على الصلد

ويحكي حفيف الغصن عند خفوتها ... وطورا كأصداء الطبول على بعد

كما له قصيدة طويلة في أربعة وسبعين بيتا بعنوان (الموتى)"[3]" يعقد مقارنة بين الحياة وما فيها من آلام وبين الأموات وعالمهم وما فيه من الهدوء ، وقصيدة أخرى بعنوان (علم بالبعث) يتخيل فيها يوم القيامة ، يضفي فيها صورا من الحياة على العالم الآخر في تشابه بينه وبين المعري والوهراني ، فالآخرة عنده كالحياة الدنيا مليئة بالفوضى والظلم والسرقة ، يقول فيها :"[4]"

مرت علي قرون لست أحفظها ... عدا كأن مر بي الآباء والقدم

حتى بعثت على نفخ الملائك في ... أبواقهم وتنادت تلكم الرمم

وقام حولي من الأموات زعنفة ... هوجاء كالليل جم لجه عرم

(١) منامات الوهراني : ٦١ .

(٢) ديوان عبد الرحمن شكري : ١٥١ .

(٣) نفسه : ٥٤٢ .

(٤) نفسه : ٢٣٦ .

فذاك يبحث عن عين له فقـــدت وتلك تعوزها الأصداغ واللمـــــــم

وذاك يمشي على رجل بلا قـــدم وذاك غضبان لا ساق ولا قـــــــدم

ورب غاصب رأسٍ ليس صاحبـــه وصاحب الرأس يبكيه ويختصـــــم

جاءت ملائـكة باللحم تعرضـــــه ليلبس اللحم من أضلاعنا الوخـــم

رقـدت مستشعرا نوما لأوهمهـــم إني عن البعث بي نوم وبي صمـــم

فأعلموني وقالوا قـم ولا كســـــل ينجي من البعث أن الله محتكـــــم

فالتهكم والشك ظاهرتان على القصيدة ، وكغيره من الرومانسيين بعد التمرد يستسلم ، ويؤمن بالقضاء والقدر، حيث يقول في خاتمة قصيدته :

أستغفر الله من لغو ومن عبث ومن جناية ما يأتي به الكلم

وهذا آخر حديثنا ومسك بحثنا والله معيننا في يوم الآخرة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

ابن حزم الأندلسي ، د. أحسان عباس ، بيروت ١٩٥٩ .

الأدب الأندلسي من الفتح وحتى سقوط الخلافة ، أحمد هيكل دار المعارف مصر ١٩٧٩.

الأدب العربي الحديث ، دراسة في شعره ونثره ، سالم أحمد الحمداني وفائق مصطفى أحمد ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٨٧.

الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ، د . أحمد عثمان – سلسلة عالم المعرفة : ١٤١ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨٩.

الأدب المقارن ، محمد غنيمي هلال ط ٢ دار العودة ، بيروت ١٩٨١.

الألياذة ، هوميروس ، تعريب بطرس البستاني شعرا ، دار العلم للملايين د. ت –بيروت.

الألياذة ، هوميروس ، عنبرة سلام الخالدي نثرا دار العلم للملايين د. ت ١٩٧٤–بيروت.

الأوديسة ، هوميروس ، عنبرة سلام الخالدي نثرا دار العلم للملايين د. ت –بيروت.

بلاغة العرب في الأندلس ، أحمد صيف ط٢مط الأعتماد القاهرة ١٩٣٨.

تاريخ الآداب العالمية ، جرجي زيدان ، مط المعارف – مصر . د ت .

تاريخ الفتح العربي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، د. منجد مصطفى بهجت جامعة الموصل ١٩٨٨.

التوهم ، المحاسبي ، تحق آرثر أربري ، القاهرة ١٩٣٧ .

جحيم دانتي ، مقدمة كرد محمد علي ، أمين شعر – القدس ١٩٣٨.

دراسات في الشاهنامة ، طه ندا ، الدار المصرية للطباعة / الأسكندرية ١٩٥٤.

ديوان عبد الرحمن شكري / المجموعة الكاملة / القاهرة ١٩٦٠.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ابن بسام الشنتريتي تحق إحسان عباس ، دار العربية للكتاب تونس ١٩٧٩.

رسائل ابن العربي ، محي الدين ابن العربي ط١ حيدر آباد ١٣٦١ هـ ، نشر إحياء التراث الأسلامي .

رسالة التوابع والزوابع ، ابن شهيد الأندلسي . دار صادر بيروت ١٩٦٧ .

رسالة الغفران ، ابو العلاء المعري نشر محمد عز ت نصر الله – بيروت ١٩٦٨.

رسالة الملائكة ، ابو العلاء المعري ، نشر المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٤٤.

ظهر الأسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ط٤ ، القاهرة ١٩٦٦.

عرائس المجالس ، ابو أسحاق أحمد النيسابوري الثعلبي ، المكتبة الشرقية – بغداد . د ت .

العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ط٤ دار المعارف – مصر .

الغفران لأبي العلاء المعري ، دراسة ونقد ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف – مصر ١٩٥٤.

الكوميديا الألهية ، دانتي ، ترجمة طه فوزي ، دار المعارف مصر د. ت .

المرشد الى فن المسرح ، لويس فارجاس ترجمة أحمد سلامة – الهيئة المصرية للكتاب . د ت .

المسرحيات العالمية ، أردايس نيكول ترجمة عثمان نويه ، وزارة الثقافة مط الرسالة – مصر د. ت .

ملامح يونانية في الأدب العربي – د. أحسان عباس ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٧.

من الأدب المقارن ، نجيب العقيقي ، ط ٣ – مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥.

منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، الوهراني تحق إبراهيم شعلان ، محمد نعش الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨.

النثر الفني في القرن الرابع للهجرة ، زكي مبارك ، دار العلم للملايين ، بيروت د.ت.

النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة بيروت ١٩٨٢ .

النقد المسرحي عند اليونان ، د. عطية عامر مط الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤ .

النقد واللغة في رسالة الغفران ، د. أمجد الطرابلسي الجامعة السورية ١٩٥١ .

الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل الصفدي – نشر هلموت ريتز ، إيران ١٩٦١ .

وفيات الأعيان – ابن خلكان – تح : إحسان عباس ١٩٦٨ – ١٩٧٢ بيروت .

الخلاصة

يتناول البحث تصور الأدباء عن العوالم الأخرى لا سيما الجحيم والجنة بما يكشف طبيعة العقل البشرى وخياله ونظرته الأعتقادية التى كانت تتأرجح بين اليقين والشك ، فالأيمان بالغيب كان وما يزال مفتاح الأمان والأستقرار النفسى للبشر عموما ، وان تخطى الأدباء لمعضلة ما بعد الموت والكشف عن بعض جوانبها بما ينسجم مع تصوراتهم الدينية وصراعاتهم النفسية الدنيوية قد اغنت الأدب العالمى بموضوعات متشابهة متشابكة تصب فى بودقة واحدة تدل على الطبيعة البشرية التى لم تتغير منذ الخليقة الأولى .

وقد مر البحث باساطير المصريين والبابليين وما جاء فى قصص الأنبياء عن النبي ادريس (عليه السلام) ، كما وقف عند الياذة هوميروس وما جاء فيها حول العالم السفلي وظلمات الجحيم واشارات عن الجنة والشفاعة وميزان القضاء العظيم ، وفي الملحمة الثانية لهوميروس نزل مع أوذيس الى منازل الموتى وحواره مع ارواح ذويه ورفاقه وتصوره للروح بأنها شبح لا مادة لها .

وشغلت مسرحية الضفادع لارستوفان التى اهملت من قبل الباحثين في الادب المقارن حيزا من البحث لما فيها من آراء نقدية وأدبية خلال رحلة خيالية للمؤلف الى الجحيم للموازنة بين شاعرين يونانيين في اتجاهين مختلفين تركت اثرها الكبير في الاعمال الادبية اللاحقة وكانت ملحمة انياذة لفرجيل الشكل الآخر لاوديسة هوميروس بأوصاف اكثر تفصيلا وقربا من المسيحية ، لاسيما في وصفه ليوم الفصل ومشاهداته لمجموعات بشرية متنوعة ووقوفه الطويل فى الجنة باسلوبه الرعوي المزارعي المزخرف وتقسيمه لمراتبها الى فئات متسلسلة .

كما وقف البحث عند الحكيم اردا ويراف وتصوره لأحوال اهل الفردوس واهوال اهل الجحيم ونصائحه للناس من باب الترغيب والترهيب .

وفي التراث الاسلامي مر البحث باسراء الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأثره الجلي في الأعمال اللاحقه وبرسالتي المعري كما مرَ برحلة دانتي في الكوميديا الالهية مع دراسة مقارنة بين مسرحية الضفادع ورسالة الغفران مع عدم التغافل عن رسالة التوابع والزوابع لابن الشهيد كما كشف عن الرحلة لأديب يكاد يكون مجهولا في العصر الحاضر هو الوهراني وكتابه (منامات الوهراني) ورسائله وما فيها من وصف ليوم القيامة في محاكاة دقيقة لرسالة الغفران .

وفي الأدب الحديث وقف البحث عند قصيدة طريفة للشاعر عبد الرحمن شكري وما فيها من تصور لليوم البعث .

کورتەی باسەکە بە کوردی

ئەم باسە بۆچوونی ئەدیبان دەربارەی ژیانی دوای مردن بە دۆزەخ و بەهەشتەوە دەرئـەخا و سروشـتی ژیری مرۆڤ و بیرۆکە بڕواییەکانی ئەخاتە ڕوو .

باسەکە لایەکی بەلای ئەفسانەی میسریەکان و بابل و چـیرۆکی پێغەمبـەران لـە ئیدریسـەوە ((د.خ)) دا کردوتەوە و هەڵوەستەیەکیشی لای ئیلیازە و ئۆدیسەی هۆمیرۆس و ئەوەی دەربارەی بەهەشـت و پارانـەوە و لێ خۆشبوون و بوونـــــەوەرانی جیـــهانی ژێری و دوایی کردووە .

هەروەها شانۆگەری (بۆقەکان) ی ئەرستۆفان کە چەندین بۆ چوونـــی ڕەخنـەیی ئـەدەبی ئەگرێتـە خـۆی تەوەرێکی دیکەی باسەکەی گرتەخۆی ، لـەگەڵ لـە دەرگادانێکی ئینیـازەی فـەرجیل کـە چـەندین ڕوداوی ژینـی دوایی بە شێوازێکی لاوەکی تیانوسراوە ; لـەگەڵ بۆچونەکانی زەرادەشت لـە بارەی بەهەشت و دۆزەخەوە.

لـەکەلتوری ئیسلامیش باسەکە خۆی پشت ئەستورکردووە بە بۆچونەکانی پێغەمبەر و کاریگەری لـەسەر کرداڕە دووبیەکان ، بە تایبەت نامەی سۆفیەکان و میسریەکان و پەرتوکی(الکومیدیا الالهیه) و (رسالـه التوابـع و الزوابع) و بۆچونـەکانی نوسـەران لـەسـەر جیـهانی جنۆکـە ، هـەروەها کتـابی (الوهرانـی) دەربـارەی ڕۆژی مەحشەر، لـە کۆتایشدا قسە هاتە سەر چامەیەکی شـیعری عبدالرحمـن شـکری و بـۆ چـوون و بـڕوای بـە ڕۆژی زیندووبوونەوە .

Abstract

The present paper is concerned with the conception of well- bred writers about the other cosmos including Hell and Heaven to disclose the nature of human rationality , imagination and dogmatic views .

The paper dealt with the Egyptian and Babylonian myths , what is mentioned in the tales of messengers , on Edris (peace be upon him) , Elyatha and Odyssey of Homer particularly what is relevant to Heaven , advocacy and the lower cosmos .

In anther section we have dealt with Aristovan`s play entitled ( Frogs ) due to the critical and literary views that can be found in it . next to this virgil`s (Enyatha) is dealt with in particular the scenes with show human groups in the doomsday . In addition to this , the researcher didn't ignore the wise Zoroastor and his opinions on Heaven and Hell .

Among the Islamic heritage , the paper tackled the attitude of the seal prophets and his influence on the forthcoming tasks . Moreover , the mystic's letters , the " Divine Comedy " are also dealt with . Besides , the paper talks about Ibn-shahid's " Dependencies and Hurricanes " and his conception about goblin world . Al-waharani's book on the Day of congregation is tackled as well . The paper ends in something about poem by Abdl-Rahman Shukri and his conception of the Day of Resurrection.